

«حجرة الطاووس»، 1876-1877

الب

إلا أن ويسلر لم يكن راضيًا عن حجرة الخزف الخاصة بليلاند، ويأذن من زبونه بدأ في إجراء تغييرات بسيطة في الزخرفة الأصلية. وفي آخر الأمر انطلق إبداعه متحرراً من القيود. وقد وصل به الحد إلى الرسم فوق الستائر الجدارية المصنوعة من الجلد المطلي بالذهب، مضيئاً نطاقاً متواصلاً من اللون الأزرق المميز للطاووس أعلى الأرفف (التي طلاها بالذهب). وعند انتهائه، كانت كل بوصة من الحجرة مغطاة بتصميماته. وباستثناء الحوائط الزرقاء المائلة للخضرة، فإن جميع الأسطح تتألق بالأوراق النباتية المصنوعة من الذهب والنحاس، وحتى الأماكن التي تكاد تغطيها الأرفف كانت تحمل تصميمات ثرية تشبه النسيج المزخرف لموازنة الأسطح البراقة للخزف. وقد تصور ويسلر «حجرة الطاووس» باعتبارها لوحة كبيرة الحجم ذات أبعاد ثلاثة، وكعمل فني يمكن إدخاله من الباب. أما التأثير الجمالي بشكل عام - والذي لا يمكن التعبير عنه بشكل كافٍ من خلال الكلمات أو الصور - فقد تم ربطه بالجمال المميز لعبة الورنيش اليابانية.

ورغم اشتهار ويسلر بازدرائه للطبيعة (فإن «نشيدها»، على حد تعبيره، كان نشازاً دائماً)، فقد اعترف بأن عالم الطبيعة أحياناً ما يمكنه تقديم مصدر للنماذج الزخرفية والمخططات اللونية. وبالنسبة لحجرة طعام ليلاند، فقد استخدم الزخارف الطبيعية والتلوين القزحي لريش الطاووس. وفيما عدا طيور الطاووس أنفسها، فقد كان يجد النماذج في الفن، وليس في الطبيعة. وتشير زخارف الطيور الفخمة ذات الحجم الحقيقي والتي تزين المصارع من الأرض إلى السقف إلى زخارف الطيور والزهور المميزة للفنان الياباني هيروشيغه، في حين أن زوجي الطاووس الذهبيين على الجدار الواسع أمام لوحة «الأميرة» منسوخان من الطيور الزخرفية التي رآها ويسلر تزين الزهريات اليابانية.

أما الصورة الجدارية فلها قصة. ففي مرحلة متوسطة من المشروع، اختلفت ويسلر مع ليلاند على المبلغ المدفوع مقابل الزخارف. وفي النهاية اتفقا على نصف المبلغ الذي كان مطلوباً من قبل وذلك مقابل بقاء ليلاند بعيداً بينما يعمل ويسلر على استكمال الحجرة كما يحلو له. ورغم أنه يبدو أن ليلاند كان الطرف الراجح في هذه الصفقة، إلا أن ويسلر ضمن أن الأجيال القادمة ستذكر ذلك الزبون المسيء باعتباره رجلاً ثرياً لم يتحمل الاستغناء عن بعض أمواله، حتى وإن كان ذلك مقابل تلك التحفة الفنية الخالدة؛ فالطاووس المغرور على اليمين، بريشه المنفوش المضحك قليلاً، يمثل ليلاند نفسه، حيث عرض ويسلر إعجاباً بالقمصان المنفوشة من خلال الريش الفضي على رقبته. وعند قدميه تقع النقود التي اقتطعها بلا مبالاة من المبلغ المستحق لويسلر. أما الطائر المستغل على اليسار، والمتوج بريشة واحدة فضية، فيمثل الفنان، حيث تظهر صدمته المميزة في الشعر الأبيض. وتعمل اللوحة الجدارية بحجرة الطاووس وقد سُميت «الفن والمال» كحكاية تحذيرية تنتهي بدرس أخلاقي - وهو أن الأموال قد يتم إنفاقها، ولكن الجمال يبقى.

ولد جيمس مكينيل ويسلر في ماساتشوسيتس، ورحل إلى باريس في سن الحادية والعشرين يحدوه الأمل في أن يصبح فناناً. واستقرت حياته الفنية في لندن ولم يعد أبداً إلى موطنه الأصلي. وبمرور السنين، أصبح واحداً من أكثر الرسامين تقدمية من الناحية الفنية في القرن التاسع عشر. وباعتباره مهاجراً، لم يتأثر ويسلر بالميل الأمريكي نحو إضفاء هدف أخلاقي على الفن. وفي الواقع، فقد بالغ في ذلك حيث اعتنق فلسفة الجمالية، أو «الفن من أجل الفن»، والتي تعتبر الجمال هو الهدف الوحيد للفن.

في خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وفي ذروة مشواره الفني، كان ويسلر مشغولاً بعرض أعماله الفنية. وقام بتصميم الإطارات للوحاته وأحياناً ما كان يدير بنفسه المعارض التي تعرض فيها. وقد توج رغبته في الوصول إلى فكرة جمالية تشمل كل شيء بحجرة الطعام التي قام بتزيينها في مقر إقامة مالك السفن البريطاني، فريدريك ريتشاردز ليلاند، الزبون الأساسي للفنان. وقد كان للزخرفة، التي عُرفت باسم «حجرة الطاووس»، أثرها في تعزيز مكانة ويسلر كفنان تجاوزت موهبته الفنية حدود إطار الصورة.

ووفقاً لطريقة تفكير ويسلر، يجب أن تمثل حجرة الطعام إطار إحدى لوحاته الخاصة، التي تسمى الأميرة من أرض الخزف، والتي احتلت موضع الشرف فوق رف المدفأة. وقد رسم ويسلر هذه اللوحة بعد عدة سنوات، عندما تملكه المليل نحو الخزف الصيني الأزرق والأبيض. وكما صرحت والدته، فقد كان يعتبر الخزف من بين «أفضل النماذج الفنية»، وقد كانت لوحة «الأميرة» بمثابة احتفالية بجمال الأشكال التي كانت تزينها. وقد كان ليلاند نفسه يمتلك مجموعة كبيرة من الصيني الأزرق والأبيض، وكانت حجرة طعامه مصممة لعرض تلك المجموعة، مع تعريشة متقنة من الأرفف التي تشكل «إطاراً» جميلاً لكل إناء.



11-ب جيمس مكينيل ويسلر (1903-1834)، «التناغم بين الأزرق والذهب: حجرة الطاووس»، 1876-1877 (منظران). ألوان زيتية وأوراق نباتية ذهبية على قماش الرسم والجلد والخشب، أبعاد الحجرة: الارتفاع 13 قدمًا و 11 5/8 بوصة، العرض 33 قدمًا و 2 بوصة، العمق 19 قدمًا و 9 1/2 بوصة (608.3 × 1010.9 × 425.8 سم). معرض فريير للفنون، معهد سميثونيان واشنطن، هدية من تشارلز لانج فريير، F1904.61.

صف وحلّل | م | ث

اطلب من الطلاب تحديد موقع أربعة طواويس ذهبية في هذه الحجرة. يوجد اثنان على أحد المصاريح على اليسار واثنان على الحائط الخلفي. بالإضافة إلى صور الطواويس، لماذا يطلق الناس عادة على هذه الحجرة «حجرة الطاوس»؟ إنه اللون الأزرق المخضر، وهو اللون المميز لريش الطاوس.

م | ث

اطلب من الطلاب كتابة قائمة بالصفات الممكنة لوصف هذه الحجرة. اطلب منهم مشاركة الكلمات التي اختاروها مع باقي الفصل. قد يذكر العديد من الطلاب الثروة أو الغنى. اسألهم عما يجعل هذه الحجرة تبدو ثرية. يظهر الذهب بوفرة هنا، والذهب مرتبط بالثراء.

م | ث

ما الأشياء الموجودة في تلك الحجرة والتي قد تبدو غريبة أو أجنبية بالنسبة لسكان غرب أوروبا والأمريكيين؟ يعد الطاوس من الطيور الآسيوية. ويملاً الخزف الصيني الأزرق والأبيض الأرفف، والسيدة التي تظهر في اللوحة أعلى المدفأة تقف على سجادة شرقية، أمام ستارة آسيوية، وترتدي ثوباً يشبه الكيمونو.

م | ث

كيف أوجد ويسلر عنصر التناغم في هذه الحجرة وجعلها تبدو كما لو كانت وحدة واحدة؟ لقد لَوّن معظم الحجرة باللون الأزرق المخضر وكرر التفاصيل الذهبية المعدنية في كل أنحاء الحجرة، وليس هناك سوى درجات اللون الوردية الدافئة باللوحات التي تتباين مع درجات اللون الأزرق والأخضر.

م | ث

في أي موضع بهذه الحجرة تكوّن الأشكال المكررة الزخارف؟ تظهر بالسقف، والحائط الخلفي وحول المدفأة.

م | ث

صف طريقة ويسلر في جعل لوحة السيدة جزءاً مهماً من التصميم الكلي للحجرة. تتوسط اللوحة أعلى المدفأة وتحيط بها الأرفف والإطارات الذهبية التي تطابق إطارها الذهبي.

فسّر | م | ث

تخيل الناس في هذه الحجرة عند تصميمها لأول مرة. كيف ستكون ملابسهم؟ في السبعينات من القرن التاسع عشر، كانت النساء ترتدين الفساتين الطويلة ذات التفاصيل الكثيرة، بينما كان الرجال يرتدون الكرافات أو رباطات العنق، والسترات المجسمة والبناطيل الطويلة. ما الذي قد يفعلونه في حجرة كهذه؟ كانت الحجرة في الأصل حجرة طعام. يمكن للطلاب أن يتخيلوا الحفلات أو مجموعات الأثرياء من الأشخاص الذين يتناولون الطعام ويبدو إعجابهم بالحجرة وبمجموعة الخزف الصيني فيها.

ث

كيف تجسد هذه الحجرة فلسفة ويسلر المتمثلة في «الفن من أجل الفن»؟ لقد كان المالك يريد أن تكون حجرة طعام ومكاناً لعرض مجموعة من خزف شرق آسيا الجميل، ولكن بعد تلوين ويسلر للحجرة، صارت تلفت الانتباه لها باعتبارها عملاً فنياً. وهذا العمل لا يحتوي على مدلول أخلاقي، ولكن هناك عنصر رمزي في تصميم صراع الطواويس، والذي يشير إلى النزاع الذي دار بين ويسلر ومالك الحجرة.